Arrasikhun International Journal, Volume 6, Issue 1, June 2020

ISSN: 2462-2508



مَنْهَجُ الفَارُوُقِي فِي دِرَاسَـةِ التَّوحِيـد في كِتَابِـهِ "التَّوحِيدْ مَضَامِينُهُ عَلَى الفِكْرِ والحَيَاة دراسة تأصيلية

فائز فاروق صالح المحمود

ماجستير العلوم الإسلامية – العقيدة/ جامعة المدينة العالمية – ماليزيا

ffsm71@gmail.com

د. إبراهيم محمد أحمد البيومي

أستاذ مساعد بكلية العلوم الإسلامية/ جامعة المدينة العالمية – ماليزيا

Ibrahim.baiomy@mediu.my

الملخص

تناولت في هذا البحث كتاب الدكتور: إسماعيل راجي الفاروقي –رحمه الله– كتاب (التوحيد مضامينه على الفكر والحياة) في دراسة تأصيلية، وذلك لإبراز جهود الفاروقي الذي يرى أن التوحيد هو جوهر الحضارة العربية الإسلامية، وحجر الزاوية فيها، وأساس النظام المعرفي، فما هي تجليات التوحيد في النظام المعرفي الإسلامي؟ وما هي مضامين هذا التوحيد على الفكر والحياة؟ وقد اشتمل الملخص على الآتي:

أسباب اختيار الموضوع وهي: 1- تمكين الأجيال القادمة من الباحثين وطلبة الدراسات العليا من التعرُّف على الإسهامات العلمية للفاروقي في الجانب العقدي، بوصفه أحد أعلام الفكر الإسلامي الحديث.2- أن أركان الإسلام قائمة على التوحيد، وأركان الإيمان قائمة على التوحيد، والقرآن يدور حول التوحيد، ويجب على الأمة أن تكون أمة توحيد.3- الحاجة إلى تأصيل معنى التوحيد وسنن الله الكونية في ضوء الأدلة الشرعية. 4- بيان أثر التوحيد على الفرد والمجتمع والسياسة والأسرة والاقتصاد. ثم ذكرت مشكلة البحث، ثم أسئلة البحث، وتناولت بعدها أهداف البحث، ثم مصطلحات البحث، وأهمية البحث، ثم الدراسات السابقة، ثم منهج البحث: واعتمدت فيه بعد عون الله على منهجين هما:- أولاً: المنهج الوصفي التحليلي: من خلال التعريف بالفاروقي، والبيئة التي عاش فيها، والتي كان لها الأثر في إنتاجه المعرفي، وتحليل نصوصه في دراسة التوحيد وتحليل مضامينها، وتتبع أفكاره وتصوراته العميقة، لأصل في النهاية إلى تصور عام لمنهجه في دراسة التوحيد. ثانياً: المنهج المقارن: وذلك بالمقارنة بين أقواله وآرائه وبين أقوال وآراء غيره، وبيان منهجه في دراسة التوحيد ومضامينه وأثرها على الفكر والحياة.

الكلمات المفتاحية: منهج، الفاروقي، دراسة التوحيد، مفهوم التوحيد، رؤية الفاروقي.



Abstract

In this research, I addressed the book of Dr. Ismail Raji Al-Faruqi - may God have mercy on him - the book (Monotheism and its Contents on Thought and Life) in an original study, in order to highlight the efforts of Al-Faruqi, who believes that monotheism is the essence of Arab-Islamic civilization, the cornerstone of it, and the basis of the knowledge system, so what are The manifestations of monotheism in the Islamic knowledge system? What are the implications of this standardization of thought and life? The summary included the following:The reasons for choosing the subject are: 1- Enabling future generations of researchers and graduate students to learn about the scientific contributions of al-Faruqi on the doctrinal side, as one of the flags of modern Islamic thought. 2- The pillars of Islam are based on monotheism, and the pillars of faith are based on monotheism, and the Qur'an revolves around Monotheism, and the nation must be a nation of monotheism. 3- The need to establish the meaning of monotheism and the universal Sunnah of God in the light of Sharia evidence. 4- Explain the effect of monotheism on the individual, society, politics, family, and economy. Then I mentioned the research problem, then the research questions, and then dealt with the objectives of the research, then the search terms, the importance of research, then the previous studies, then the research method: In it, after God's help, I relied on two approaches: - First: the descriptive analytical approach: by introducing Al-Farouki, And the environment in which he lived, which had an impact on his cognitive production, and analyzing his texts in the study of monotheism and analyzing its implications, and tracing his deep thoughts and ideas, to ultimately arrive at a general perception of his method in the study of monotheism. Second: The comparative approach: This is by comparison between his sayings and opinions and the opinions and opinions of others, and explaining his method in studying monotheism and its implications and their impact on thought and life.

Keywords: Minhaj, Al-Faruqi, The Study of Monotheism, The Concept of Monotheism, Al-Faruqi's Vision.



المقدمة

الحمد لله فاطرِ السبعِ الطباق، مُقسمِ الآدابِ والأرزاق، الهادي لأحسنِ الأخلاق، مالكِ يومِ التلاق.

نحمدُهُ على آلاءٍ تملأُ الآفاق ونِعمٍ تُطوِّقُ القلوبَ والأعناق، نِعَمٍ تَوَالى لو نقُومُ بِحقِها لله بِتْنَا راكعينَ وسُجدًا، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهَ وحده لا شريكَ له شهادةً ندّخِرُها لِلحظةِ الفِراق، والتفافِ الساقِ بالساق، وإلى اللهِ المساق.

وأشهد أنَّ مُحمداً عبدهُ ورسولهُ سيدُ ولدِ آدمَ على الإطلاق، خيرُ من ركِبَ البُراق، وتممَّ مكارمَ الأخلاق، صلى عليهِ اللهُ ثمَّ سلّمَا ما انتهى أمرٌ وتمَّ وانقضى. وبعد ...

فإن مِن مبالغ نِعمِ الله أنْ جعل للعلم شأنًا جَلِيًّا يرفع أهله، وشأنًا خَفِيًّا لا يعرفه إلا مَنْ أقبل عليه، فصفا قلبُه، ورَقَّ طبعه، وتَرَقَّى عقله، فتراهُ جَامعًا خِصالَ الحال، وطبائعَ المقال، فأكْرِم به من مُتعَلَّم، وأكْرِم به من مُعَلم.

وبعد، فإن التوحيد هو أشرف العلوم على الإطلاق، كيف لا وهو يتعلق بالله وما له من الأسماء والصفات والحقوق، فليس الأفضل من ينفع في وقت دون وقت، بل الأفضل والأنفع ما يحتاجه العبد في كل وقت، فللعبد في كل وقتٍ عبودية، فالموفقُ من وضع كل عبودية في وقتها.

فالله سبحانه وتعالى خلق الخلق لتوحيده، والتوحيد حقيقته تحقيق شهادة "أن لا إله إلا الله" فهو رأس الأمر وأصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً غيره، وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب كما قال تعالى: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُون} (الزخرف: 45) وقال سبحانه وتعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِين} (النحل: 36) .

وقال ابن تيمية-رحمه الله-: (ومن تدبر أحوال العالم وجد كلَّ صلاح في الأرض سببه توحيدُ الله وعبادتُه وطاعةُ رسوله، وكلَّ شرٍ في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليطِ عدو وغيرِ ذلك سببه مخالفة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، والدعوة إلى غير الله سبحانه وتعالى، ومن تدبر هذا حق التدبر وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه وفي غيره عمومًا وخصوصًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله)[1].

وقال الشيخ/صالح الفوزان في (كتاب التوحيد): "والنفس بفطرتها إذا تُرِكت كانت مُقِرَّة لله بالإلهية، مُحِبَّةً لله، تعبدُه لا تُشرك به شيئًا، ولكن يفسدها وينحرف بها عن ذلك ما يُزيّنُ لها شياطين الإنس والجن بما يوحي بعضُهم إلى بعضٍ زخرف القول غرورًا، فالتوحيد مركوزٌ في الفِطَر والشرك طارئ ودخيل عليها.[2]"

وقال ابن القيم- رحمه الله - في مدارج السالكين: "فإن الله فَطَرَ القلوب على قبول الحق والانقياد له والطمأنينة به، والسكون إليه ومحبته، وفَطْرِها على بغض الكذب والباطل والنفور عنه والريبة به وعدم السكون إليه، ولو بقيت الفِطَر على حالها لما آثرت على الحقِّ سواه، ولما سكنت إلاَّ إليه، ولا اطمأنَّت إلا به، ولا أحبَّت غيره" [3].

أراد الباحث في هذا البحث إبراز جهود الفاروقي الذي يرى

---

(1) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ط3، 25/15.

(2) صالح الفوزان، **كتاب التوحيد**، ط1، 7.

(3) ابن القيم، **مدارج السالكين**، د.ط، 471/3.



أن التوحيد هو جوهر الحضارة العربية الإسلامية، وحجر الزاوية فيها، وأساس النظام المعرفي، وظهر ذلك جلياً في عدد من كتاباته المتميزة، فما هي تجليات التوحيد في النظام المعرفي الإسلامي؟ وما هي مضامين هذا التوحيد على الفكر والحياة؟ وكيف أثّر التوحيد في تميّز الشخصية الإسلامية، وإنجازات الحضارة الإسلامية؟

ثم أمِّنْ معي على دُعاء أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي 597هـ: "اللهم لا تعذب لسانًا يخبر عنك بما شرعت، ولا عينًا تنظر إلى علومٍ تدل على جلالك ومحابِّك، ولا قدمًا تمشي إلى خدمتك، ولا يدًا تكتب ما فيه مرضاتك، فبعزتك لا تُدخلنا النار؛ فقد علِم أهلها أنّا نقصد الدعوة إليك، والدلالة عليك، واجعل رجاءنا في فضلك يعدل خوفنا منك يا الله يا رب العالمين"(1).

مشكلة البحث:

تكمن إشكالية البحث في عدم تدبر الأمة لأهمية التوحيد في كل قضاياها، ولولا ذلك لما وقع كثير منهم فيما وقعوا فيه من مخالفة التوحيد. وأسعى في هذه الدراسة إلى بيان حقيقة التوحيد عند الفاروقي، حيث لم يكتب عن الفاروقي في تناوله للتوحيد إلا قلة، وهل للتوحيد أبعاد ومضامين تتجلى على نواحي الحياة وسلوك الإنسان؟ ولعل هذه الإشكالية وما يترتب عليها تستحق الدراسة.

أسئلة البحث:

1- ما هي البيئة الثقافية والخلفية العلمية التي ساعدت في تكوين آراء وثقافة الفاروقي؟.

2- ما مفهوم التوحيد عند الفاروقي؟ وماهي مساهماته في بيان التوحيد؟ وما الجديد الذي قدمه؟.

3- ما هو منهج الفاروقي في دراسة التوحيد؟.

4- ما هي رؤية الفاروقي لتأثير التوحيد على الفكر والحياة؟.

أهداف البحث:

تسعى الدراسة الحالية لهذا الكتاب إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- التعرف على البيئة الثقافية والخلفية العلمية للفاروقي وأثرها في تكوين آرائه وثقافته.

2- دراسة تحليلية لمفهوم التوحيد عند الفاروقي.

3- إبراز منهج الفاروقي في دراسة التوحيد، وبيان ذلك في كتابه.

4- إيضاح رؤية الفاروقي لتأثير التوحيد على الفكر والحياة.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذه الدراسة في الرفع من واقع الأمة لكي تنهض وتعود إلى سابق عهدها ومكانتها الرائدة بين الأمم ويكون لها الإسهام الحضاري، فنجد أن الفاروقي قد جمع بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية، ونتج عن ذلك تميزه في دراسته للتوحيد وتأثيره على الفكر والحياة، وأن الحضارة في الإسلام لا تعتمد على الجانب المادي فقط، بل لابد من الجانب الآخر وهو جانب الأخلاق، وأن التوحيد هو جوهر الحضارة الإسلامية، وأن هذا الجوهر مبني على العبادة، وأن أي حضارة قامت على نظام الأسباب وحده،

---

(1) ابن الجوزي، **صَيد الخاطر**، د.ط، 320.

Arrasikhun International Journal, Volume 6, Issue 1, June 2020

ISSN: 2462-2508



دون الأخذ بالطاعة فهي حضارة محكومٌ عليها بالهلاك والزوال.

ولا يخفى على أحدٍ من المسلمين ما للتوحيد من منزلة؛ فإن به حياة الفرد والجماعة، وعليه مدار السعادة في الدارين، وهو معقِد الاستقامة، والثابت الأساس لأمن الحياة الإنسانية وتغيُّراتها، وصِمام أمانها، ونواة نموها، وحدود غايتها، فلا يصلح شأن التعليم قط إلا والتوحيد اسم بارز على أول وأهم مناهجه، يتغذَّى به طلابُ العلم، وينهلون من معينه.

منهج البحث: اعتمد البحث في دراسة هذا البحث على منهجين هما:- أولاً: المنهج الوصفي التحليلي: من خلال التعريف بالفاروقي، والبيئة التي عاش فيها، والتي كان لها الأثر في إنتاجه المعرفي، وتحليل نصوصه في دراسة التوحيد وتحليل مضامينها، وتتبع أفكاره وتصوراته العميقة، لأصل في النهاية إلى تصور عام لمنهجه في دراسة التوحيد. ثانياً: المنهج المقارن: وذلك بالمقارنة بين أقواله وآرائه وبين أقوال وآراء غيره، وبيان منهجه في دراسة التوحيد ومضامينه وأثرها على الفكر والحياة.

الدراسات السابقة:

وقفت على عدد من الدراسات التي تثري البحث من حيث أهمية الإسلام كدين يتميز بالتوحيد وتميزه على بقية الأديان، وبيان مضامينه على الفكر والعمل وحياة المسلم المعاصرة، من أهم هذه الدراسات ما يأتي:

بحث للأستاذ/ عبد الرحمن أبو صعيليك، بعنوان: "التنزيه في فكر الفاروقي" قراءة في كتاب التوحيد"[(1)]، وفيه يرى الباحث أن الفاروقي قد أبدع في استلهام أهم مبدأ من مبادئ "التنزيه" وهو (التوحيد) وكيف أن الفاروقي قد ربطه بمناحي الحياة.

وقد تبيّن في هذه الدراسة أن الفاروقي قد ناقش اليهودية والمسيحية وبيّن انحرافهما عن تنزيه الخالق سبحانه وتعالى عما لا يليق به، وشرح ذلك بأسلوب سلس وواضح دون تعقيدات علماء الكلام مع استفادته من كتبهم.

بحث للأستاذ الدكتور/ عماد عبد الله محمد الشريفين، بعنوان: " أسلمة العلوم النفسية والاجتماعية عند الفاروقي"[(2)]، وفيه يبين الباحث مفهوم الأسلمة عند الفاروقي، وبيان دوافع الفاروقي للقيام بمشروع الأسلمة وتوضيح خطوات الأسلمة وفقاً لوجهة النظر الإسلامية.

وقد تبين من هذه الدراسة أن القيام بمشروع الأسلمة قد أسهم في تكوين عقلية علمية منهجية، وتقديم أهداف واستنتاجات جديدة.

بحث للأستاذ/ عمران سميح نزال، بعنوان: فلسفة إسماعيل الفاروقي في التعامل مع التراث الإسلامي"[(3)]، حيث يرى الباحث أن الفاروقي أدرك أن الأمة وهي تبحث عن المشروع

---

(1) عبدالرحمن أبو صعيليك، **التنزيه في فكر الفاروقي "قراءة في كتاب التوحيد"**، المؤتمر العلمي الدولي، بعنوان: "إسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الإصلاح الفكري الإسلامي المعاصر"، الأردن، نوفمبر 2011م.

(2) عماد عبد الله محمد الشريفين، أسلمة العلوم النفسية والاجتماعية عند الفاروقي، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد الحادي والعشرين، العدد الأول (ص:445-484)

(3) عمران سميح نزال، **فلسفة إسماعيل الفاروقي في التعامل مع التراث الإسلامي**، المؤتمر العلمي الدولي بعنوان: " إسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الإصلاح الفكر الإسلامي المعاصر، الأردن، نوفمبر 2011م.



الإصلاحي الإسلامي النهضوي وجدت نفسها مرةً أخرى تقف أمام إشكالية التراث الإسلامي ماذا تأخذ منه وماذا تترك، ويرى أن المسلمين متفاوتون في التعامل مع التراث وإن كانوا متفقين على الإسلام كدين. ويرى الفاروقي أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما النوع الأول من التراث الإسلامي، أما النوع الثاني فهو فهم المسلم لهذين المصدرين، والفارق بينهما في نظر الفاروقي، أن المصدر النوع الأول ليس موضعاً للنقد أو التقويم، أم النوع الثاني فإنه يخضع للتعديل والنقد في ضوء المبادئ التي يقدمها هذان المصدران الوحيّيان(1).

وقد تبيّن من هذه الدراسة أن التراث الإسلامي لا يعتمد على الجانب المادي فقط، بل لابد من الجانب الآخر وهو جانب الأخلاق، وأن المسلم يستطيع أن يقوم بتفعيل القيم وفق المنهج الرباني، فالإسلام يربط بين الإيمان والعمل وهذا ما يجعلنا نقول أن عالمية الإسلام تذيب الفوارق بين البشر وتعيدهم إلى الفطرة الأولى، وذلك بخلاف الأديان الأخرى.

بحث للدكتور/ حسان عبدالله حسان، بعنوان: "منهجية الفاروقي في قراءة النموذج المعرفي الغربي"(2)، وفيه يرى الباحث أن عملية التأسيس الحضاري الإسلامي تتطلب التعرض للنموذج المعرفي الغربي بذاته، ودراسته من منطلق توحيدي حضاري وتفكيك دلالاته ونقد القراءات التي تبنت الفكر الغربي. وبين الباحث أن الفاروقي أكد على أن التحاور في الجانب الحضاري مع الغرب، لابد لنا فيه من إتقان العلم والهيمنة عليه بالإلمام التام بكل جوانبه والتفهم الكامل لكل أجزاءه.

وتبيّن من هذه الدراسة أن العلم بشكل سطحي لا يكفي ولا يغني، وأن على المسلم الذي يطلب العلم في دول الغرب أن ينفُذَ إلى كل الحقول والمكامن ويُدرك مناهجه النظرية ومسالكه العلمية، حتى يقف على نشأته وحاجاته وإمكاناته.

وفي دراستي هذه قمت بإبراز وتوضيح رؤية الفاروقي في دراسة التوحيد والتي تتجسد في أن جوهر التوحيد مبني على ثلاثية العلم بالواجب الشرعي، والعلم بالواقع العصري، والعلم بفنون تطبيق الواجب في الواقع. وأن كل ذلك يقتضي الوقوف المتأني على العلم بنظام الله تعالى في السنن الكونية والشرعية.

وأن سلامة الأفكار تقاس بسلامة أصولها، ومدى اتّساقها معها، وقدرتها على إنتاج آليات لتطبيقها بحيث تصبح نظريات عمل قابلة للتطبيق وقادرة على أن تروي أشواق الإنسان للقيام بدوره الذي فطره الله عليه؛ وهو ما ظهر جلياً في فكر ومنهج الفاروقي عند تناوله للتوحيد وبيان أثر مضامينه على الفكر والحياة.

حدود البحث:

هذا البحث محدود بمفهوم التوحيد عند الفاروقي ومقارنته بكتابات التراث الإسلامي.

هيكل البحث:

يتكون هيكل البحث من المقدمة والتمهيد وثلاثة مباحث على النحو التالي:

---

(1) إسماعيل الفاروقي، **أسلمة المعرفة**، د.ط، 100.

(2) حسان عبدالله حسان، **فلسفة إسماعيل الفاروقي في التعامل مع التراث الإسلامي**، المؤتمر العلمي الدولي بعنوان: "إسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الإصلاح الفكر الإسلامي المعاصر، الأردن، نوفمبر 2011م.



المبحث الأول : مفهوم التوحيد عند الفاروقي.

المبحث الثاني : مقارنة بين مفهوم التوحيد والمصطلحات ذوات الصلة.

المبحث الثالث: رؤية الفاروقي لتأثير التوحيد على الفكر والحياة.

الخاتمة وفيها النتائج.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

التمهيد:

عند استعراضنا لكتابات الفاروقي في كتابه: "التوحيد مضامينه على الفكر والحياة"، فإننا نلمس بوضوح وجود الأساس النظري الذي يستند عليه في دراسته، والذي ساعده على ضبط مضامين البحث والنقد، وتحديد أغراضه، وأصوله المعرفية، ومفاهيمه التحليلية المناسبة، فالمنهج وحده لا يكفي دون أساس معرفي أو فلسفي، وهذا الذي سوف أتطرق إليه مستعيناً بالله في المباحث التالية:

المبحث الأول: مفهوم التوحيد عند الفاروقي

يتناول هذا المبحث مفهوم التوحيد عند الفاروقي من خلال كتابه: "التوحيد مضامينه على الفكر والحياة" والواقع أن المؤلف قد أحاط بمفهوم التوحيد من عدة وجوه لا تختلف عن مفهوم التوحيد عند أكابر علماء الأمة سلفًا وخلفًا، وقد بدا ذلك من خلال تعقبي لمحاور التوحيد عند المؤلف، وذلك على النحو التالي:

* التوحيد خبرة دينية: (لا إله إلا الله) هي مركزية مفهوم الله بالنسبة للمسلم، في كل مكان وفي كل فعل، وجوهر هذه النظرية، أن الله تعالى يجدد العالم في كل لحظة، وبإرادته يحدث كل ما يحدث فيه، والذات الإلهية بهذا التصور هي مصدر الخيرية في كل ما في الوجود، ويترتب على هذا التصور أن يكون الإله واحدًا أحدًا فردًا صمدًا، ليس كمثله شيءٌ، فالجديد الذي أتى به التصور الإسلامي ليس وجود إله، وإنما وحدانية هذا الإله، ومن أجل تطهير الوعي الديني من الشرك، أكد الإسلام على التزام الدقة في استعمال المفردات اللغوية على نحو يليق بذات إلهية متفردة منقطعة النظير[1].

إن الله سبحانه {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرِ} (الشورى:11)، وأمر نبيه والبشرية معه أن: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد(1) اللَّهُ الصَّمَد(2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد(3) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد(4)} (الإخلاص: 1-4)، وهكذا تخلصت مفردات اللغة الدالة على الذات الإلهية من كلمات: الأب، الابن، المـُخلِّص، الشُفعاء، وما شاكلها[2].

وخلاصة القول، أن بؤرة الخبرة الدينية الإسلامية مشغولة بإله واحد ليس كمثله شيء، إرادته لا معقب عليها، وهادية لكل جوانب حياة الإنسان على الأرض، ومن هنا فإن الإنسان هو المخلوق الوحيد، الذي يتوفر في فعله الشرط الأخلاقي، وهو الفعل الحر وبهذه النعمة الإلهية صار الإنسان أسمى من الملائكة، لكونه أقدر على فعل ما لا

(1) الفاروقي، **التوحيد مضامينه على الفكر والحياة**، ط1، 32.

(2) الفاروقي، **التوحيد مضامينه على الفكر والحياة**، ط1، 36.



يقدرون هم على فعله[1].

ومن بين الأدلة القرآنية على هذا التكريم الإلهي للإنسان قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِين} (البقرة: 34)، فالإنسان قادر على التصرف على نحو أخلاقي، بعكس المخلوقات الأخرى، من هنا منَّ الله تعالى على الإنسان بتنزّل الوحي؛ ليتعرف به على المشيئة الإلهية، ومن جهة أخرى، أنعم الله تعالى على الإنسان بالحواس والعقل وفطرة التعرف بنفسه على الإرادة الإلهية، وهكذا يعي الإنسان المسلم أن معرفة إرادة الله تعالى بالعقل ممكنة، ومعرفة إرادته سبحانه وتعالى بالوحي يقينية، وأن سبيل خلاص الإنسان هو أداؤه لرسالته التي خلقه الله تعالى من أجلها، المحددة في قوله سبحانه: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون} (الذاريات: 56)، وأن الفعل الإنساني لا يصير جديراً بوصفه بالأخلاقي، إلا إذا كان فعلاً حراً مختاراً، قال سبحانه وتعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيم} (البقرة: 256) وقوله تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا} (الكهف: 29).

ولقد أكّد المؤلف مرةً أخرى على أن التوحيد في الإسلام متفردٌ عمّا سواه من مفاهيم التوحيد الأخرى، ومن ذلك قوله: "وخلاصة القول أن الخلاص الإسلامي هو على النقيض تمامًا من الخلاص في المسيحية، فالإنسان والعالم مفطوران على الخيرية الإيجابية، فكل مولود يولد على الفطرة الصحيحة غير محمل بأي خطيئة[2]، وفي ذلك نقرأ قول الله تعالى: {أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ(8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ(9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ(10)} (البلد: 8-10)، وقال تعالى: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه (7) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه(8)} (الزلزلة :1- 8)، ومن ميزان العدل الإلهي قوله تعالى: {وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}(الكهف: 49)، وقوله تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى} (آل عمران: 195).

إن المسلم ينظر إلى الكرة الأرضية بأسرها على أنها ساحة فعله، وينظر إلى أمته على أنها تشمل البشرية.

لقد احتضن ذلك المجتمع أهل الكتاب من نصارى ويهود، وصابئين، بنص القرآن الكريم، وضم الزرادشتيين[3] بالسنة النبوية. وانفتح أمام البوذيين والهندوس باستقراء الفقهاء المسلمين لدلالات السنة النبوية.

وعاد المؤلف مرة أخرى إلى ربط التوحيد بالحياة في شتى مناحيها على مستوى الفرد والجماعة والزمان والمكان فقال: "إن التوحيد رؤية عامة للحقيقة، وللواقع، وللعالم، وللمكان وللزمان، ولتاريخ الإنسانية ولمصيرها. وفي لُبّه تكْمُن المبادئ التالية[4]:

---

(1) الفاروقي، **التوحيد مضامينه على الفكر والحياة**، ط1، 39.

(2) الفاروقي، **التوحيد مضامينه على الفكر والحياة**، ط1، 42.

(3) الزرادشتية: دين فارسي قديم يؤمن بالثنائية، اكتمل تكوينه في القرن السابع قبل الميلاد. حيث يَعتقد الزرادشتيون بوجود إلهٍ للخير يسمُّونه "أهورامزدا" ربّ الخير، ويقولون: إنه إله النور. وفي عقيدتهم أيضًا يوجد مصدر للشرّ يسمُّونه "آهرمان"، وهو إله الظلمة. وكان له تأثير بالغ على عقائد الديانة اليهودية والمسيحية، **الموسوعة العربية**، م10، 281.

(4) الفاروقي، **التوحيد مضامينه على الفكر والحياة**، ط1، 45.



أ- الوحدانية: فالله سبحانه يقول: {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير} (الشورى: 11).

ب- التصورية: بين نظامي الخالق والمخلوق قال تعالى: {فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً} (فاطر: 43).

ج- الغائية: الكون لم يخلق عبثًا قال تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُون}(المؤمنون: 115)، وقال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِين} (الأنبياء: 16).

فالكون ليس نتاج الصدفة، بل هو كونٌ أبدعه خالقه على أكمل حال، وخلق كل شيءٍ فيه بقدر، ليؤدي وظيفة كونية محددة له. يقول الله تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِين}(السجدة: 7)، ويقول تعالى: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى}(الأعلى: 2).

فالعالم كون مترابط ومنتظم ومتناغم، لا تفاوت فيه ولا فطور، تتحقق فيه إرادة خالقه على الدوام، وسنن الله تعالى في الكون بمثابة أوامر تكوينية لا مناص من تحققها، لأن كل المخلوقات مفطورة في هذا المستوى على الامتثال لأمر الله تعالى فيها، يقول الله تعالى{الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُور}(الملك: 3).

إن التكليف يقتضي أمرين: القدرة، والاختيار. يقول الله إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً} (الأحزاب: 72).

د- القدرة الإنسانية: إن لكل شيء في الوجود غاية وأن تحقيق تلك الغاية داخل في حدود قدرة الإنسان، قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون}(الذاريات: 56)، ويقول سبحانه: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُور}(الملك: 2).

هـ- المسؤولية والمحاسبة: إن الإنسان مكلف بتغيير نفسه، ومجتمعه وبوسعه تحقيق ذلك، وهذه المحاسبة مبدأ متأصل في طبيعة المعيارية ذاتها. وهذا هو ما يعنيه الإسلام بيوم الحساب، يوم يقوم الناس لرب العالمين. كما أن مبدأ محاسبة الله تعالى للبشرية جمعاء يوم القيامة مبدأ قرآني بقدر ما إن تحمل المسؤولية شرط ضروري للالتزام الأخلاقي" [(1)].

إن القاعدة أن طاعة الله تعالى بمعرفة أوامره وتجسيد نموذجه في أرض الواقع، هو سبيل الفلاح والسعادة واليسر، وفي المقابل، فإن معصية الله تعالى تُفضي بصاحبها إلى البوار والضنك وسوء المنقلب.

وهذه المبادئ الخمسة سالفة الذكر بمثابة حقائق بدهية، تشكل لُبَّ التوحيد، وخلاصة الإسلام، وهي بذات الدرجة عصارة الحنيفية، وكل الوحي الإلهي المنزل على رُسُلِ الله تعالى. فكل الرسل دعوا أممهم إلى هذه المبادئ، وأسسوا صرح رسالتهم عليها.

وبالمثل، فطر الله تعالى البشرية على هذه المبادئ، فهي مركوزة في نسيج الطبع الإنساني، وتمثل فطرة غير قابلة للتبديل. يقول الله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ

---

(1) الفاروقي، **التوحيد مضامينه على الفكر والحياة**، ط1، 50.



اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون}(الروم: 30).

وبذلك أنهى المؤلف رؤيته لمفهوم التوحيد في كلياته الإجمالية وإفراداته التفصيلية فقال: "وبذا زود الله تعالى الإنسان بمصدرين لمعرفة ما ينبغي أن تكون عليه رسالته في هذه الأرض: الوحي المنزل، والوعي النابع من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وعلى هذه المبادئ الخمسة تأسست الثقافة الإسلامية بكاملها، وكانت هذه المبادئ مجتمعة الممثلة لجوهر التوحيد هي الجذر الرئيس لكل المعرفة الإسلامية وللأخلاقيات والجماليات الفردية والاجتماعية الإسلامية، وللحياة وللفعل الإسلامي على مدى التاريخ[1].

المبحث الثاني: مقارنة بين مفهوم التوحيد والمصطلحات ذوات الصلة

الإيمان وعلم الكلام[2]:

يتناول هذا المبحث مفهوم التوحيد عند الفاروقي من خلال كتابه: "التوحيد مضامينه على الفكر والحياة" والواقع أن المؤلف قد أحاط بمفهوم التوحيد، وقد بدا ذلك من خلال تعقبي لتعريف التوحيد عند المؤلف، وذلك على النحو التالي:

أن التوحيد خبرة دينية: (لا إله إلا الله) هي مركزية مفهوم الله بالنسبة للمسلم، في كل مكان وفي كل فعل، وجوهر هذه النظرية، أن الله تعالى يجدد العالم في كل لحظة، وبإرادته يحدث كل ما يحدث فيه، والذات الإلهية بهذا التصور هي مصدر الخيرية في كل ما في الوجود، ويترتب على هذا التصور أن يكون الإله واحدًا أحدًا فردًا صمدًا، ليس كمثله شيء، فالجديد الذي أتى به التصور الإسلامي ليس وجود إله، وإنما وحدانية هذا الإله، ومن أجل تطهير الوعي الديني من الشرك، أكد الإسلام على التزام الدقة في استعمال المفردات اللغوية على نحو يليق بذات إلهية متفردة منقطعة النظير[3].

وأنَّ الله سبحانه {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير} (الشورى: 11)، وأمر نبيه والبشرية معه أن: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد(1) اللَّهُ الصَّمَد(2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد(3) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد(4)} (الإخلاص: 1-4)، وهكذا تخلصت مفردات اللغة الدالة على الذات الإلهية من كلمات: الأب، الابن ، المُخلِّص، الشُفعاء، وما شاكلها[4].

ومن نافلة القول التذكير بأن مَدارِك النقل أوسع من مَدارِك العقل، وأنها فوقها ومحيطة بها، وأن للوحي مَحارات يَتَعَنَّى العقل فيها حتى يفهمها؛ فإذا هدانا الوحي إلى مَدْرَك فينبغي أن نقدمه على مَدارِكنا وسُبُلنا ولا ننظر في تصحيحه بعقولنا، بل نعتقد ما أمرنا الوحي به، ونُفَوِّض ما لم نفهمه إلى مُنْزِله لأن العلم إنما هو من الله، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التَّدَبُّر والتسليم.

ومما يؤكد فكر المؤلف أنه لا منافاة بين عقلٍ صريح ووحيٍ

---

(1) الفاروقي، **التوحيد مضامينه على الفكر والحياة**، ط1، 51.

(2) يطلق علم الكلام على العلم الباحث عن ذات الله تعالى وصفاته، وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد؛ كل ذلك على قانون الإسلام. انظر: الجُرْجاني، **التعريفات**، ط2، 201 و237، جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، د.ط، 235/2.

(3) الفاروقي، **التوحيد مضامينه على الفكر والحياة**، ط1، 32.

(4) الفاروقي، **التوحيد مضامينه على الفكر والحياة**، ط1، 36.



صحيح؛ لأنهما من الخالق الحكيم، نجد أن أرسطو 322ق.م، أتعب نفسه لما كتب في الإلهيات بعقله، وأتعب أبو علي بن سينا 428هـ نفسه لما لَخَّص في كتابيه (الشفاء – والنجاة) ما كتبه أرسطو، ثم سار على نهجهما مَنْ جاء بعدهما حتى اختلط علم الكلام بالفلسفة بالإلهيات بالروحانيات؛ ولك أن تجد ذلك في (كتاب المباحث المشرقية) للفخر الرازي 606هـ، وجُل مَنْ تلاه من علماء الكلام.

ولذا وقع للفلاسفة في تعريفهم للإيمان نوع اتفاق وافتراق مع أهل الإسلام؛ فأمّا الاتفاق فقولهم: الإيمان هو التصديق الذي يطمئن القلب له عن اقتناع، وتُسَلِّم النفس به إلى حد اليقين، ولما كان التصديق فعلاً إرادياً فإن الاعتقاد دليل على حرية الاختيار، وهو الإيمان نفسه.

فأقَرُّوا بأن الأفعال الإيمانية تعبر عن الاعتقاد، وتمثلها جماعة أشياء تضم: الموافقة الإرادية، والاعتراف العلني، والتعبير بالطاعات، وأن المراد بحقيقة الشيء هو ذاته وما وُضِع له وطابقه(1).

وأمّا الافتراق فقولهم إن الإيمان تصديق يطمئن إليه القلب دون أن يؤيده أو يكذبه برهان منطقي أو مشاهدة حِسية. فكان ذلك الافتراق سبباً في القول بالمغايرة بين: العلم والاعتقاد واليقين والإيمان، فقالوا: العلم مبني على أسباب عقلية كافية، والاعتقاد مبني على بواعث قلبية أو أسباب عقلية لكنها غير كافية، واليقين مبني على أسباب موضوعية، والإيمان مبني على أسباب ذاتية يصعب أن تُقنع بها غيرك(2).

والواقع أن الإنصاف يقتضي القول بأن علم الكلام عمل عقلي عَقَدي مُتَلَقَّى من الشريعة أولاً بغرض إقامة الحُجَج الشرعية ودفع الشُّبَه البِدْعِيَّة، ولذلك نقل السلف الصالح غالب القواطع العقلية من النقل أولاً من غير رجوع إلى العقل ولا تَعْويل عليه؛ لأن هذه القواطع لا تثبت بالعقل ابتداءً وإنما مَرَدُّها إلى النقل (الوحي)، وإنما العقل فيها تابع للنقل لا العكس(3).

وإذا كانت الفلسفة تبحث في الموجود بحثاً عقلياً صَرْفاً فإن علم الكلام يبحث في الموجود بالجمع بين: صحيح النقل وصريح العقل؛ بحيث تكون عقائد الدين بمَنْجاةٍ عن شُبَهِ المبطلين، لكن الحاجة إلى الرد على الخصوم هي التي دعت المتكلمة إلى الخَوْض في اصطلاحات الفلاسفة ليردوا عليهم بلغتهم، وما كانت تلك المباحث مقصود علمهم وإنما كانت الوسيلة الممكنة لنُصْرَة الآراء والأفعال التي صرح بها واضع المِلَّة وسار عليها السلف، ثم تزييف ما خالفها(4).

ويؤكد الفاروقي أن التوحيد هو حجر الأساس لكل ما يتعلق بالتقوى والتدين والفضيلة، ومن الطبيعي في ضوء ذلك، أن يسمو التوحيد بالملتزم به في ميزان الله تعالى ورسوله، إلى أعلى مقام، ويؤهله لأعظم المثوبة(5)، وأبين في النقاط التالية ما ذكره هل العلم عن في تناولهم للتوحيد في عدة نقاط على النحو التالي:

أ. تَنوُّع أهل العلم في تناول التوحيد:

تنوع تناوُل أهل العلم للتوحيد لغةً وإصلاحاً حتى بدا فَرْقٌ

---

(1) الراغب، **ألفاظ القرآن**، د.ط، 124، الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، ط4، 1129، الجُرْجاني، **التعريفات**، ط2، 121.

(2) جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، د.ط، 187/1.

(3) الغزالي، **المنقذ من الضلال**، د.ط، 72.

(4) الغزالي، **المنقذ من الضلال**، د.ط، 72.

(5) الفاروقي، **التوحيد مضامينه على الفكر والحياة**، ط1، 56.



بين تناوُل الصدر الأول له، وتناولِ مَن بعدهم، فأتعبوا أنفسهم بالنظر فيه، فأطلقوا مادته على جَعْل الشيء واحداً لا جزء له البَتَّة، وعلى العلم والحكم بأنه واحد[1] وأن الواحد لا يكون له أقل ولا أكثر، ولا يكون عدداً لأنه بذاته غير متعدد؛ إذ التعدد يفيد الكثرة فقالوا: وَحَّد الشيء أي جعله واحداً، ووَحَّد الله سبحانه أي أقَرَّ وآمن بأنه واحد[2].

وأن الأحد اسم مخصوص بالله تعالى بالمعنى فلا يشركه فيه أحد[3] وأمّا الواحد فهو مخصص بالله تعالى بالذات فلا مثيل له ولا نظير، ولا يتجزأ ولا يُثَنَّى، ولم يزل وحده، ولم يكن معه غيره، فهو وحده الواحد في ذاته وصفاته ومخلوقاته، لا قسيم له في الذات ولا شبيه له في الصفات، ولا شريك له في تدبير المصنوعات[4] وإنما هو الواحد الأحد فلا نظير له ولا شريك[5].

وعادوا فجَوَّزوا أن يُنْعَت الشيء بأنه واحد، لكنهم لم يُجَوِّزوا أن يُنْعَت بالأحَدِية غير الله لخلوص هذا الاسم الشريف له؛ فجعلوا للتوحيد معنيين:

الأول: القول بأن الله تعالى واحد من جميع الوجوه.

والثاني: القول بإله واحد لا مُؤَثِّر سواه؛ انفرد بالإيجاد والتدبير، يُدَبِّر العالم بلا واسطة ولا مُعالَجة، وله تعالى كمالات لا يشاركه فيها غيره[6].

وقالوا: يُطْلَق التوحيد على الإيمان بالله وحده؛ فهو الأوحد وهو المتوحد ذو الوحدانية لا شريك له[7] ويُطْلَق في اصطلاح أهل الحقيقة على تجريد الذات الإلهية عمّا يُتَصَوَّر في الأفهام ويُتَخَيَّل في الأوهام والأذهان فيكون معناه: معرفة الله بالربوبية، والإقرار له بالوحدانية، ونفي الأنْداد عنه[8].

ولذا لمَّا سُئِل الجُنَيْد بن محمد البغدادي 297هـ عن التوحيد قال: "يكون الله كما لم يزل"[9] وصَرَّح الفخر الرازي 606هـ بصعوبة وصف التوحيد لأنه مقام يضيق النطق عنه لأنك إذا تكلمت فيه فهناك مُخْبَر عنه، ومُخْبِر به، ومجموعهما وذلك ثلاثة؛ فالعقل يعرفه لكن النطق لا يصل إليه[10].

وأتى ابن تيمية 728هـ في المسألة بما خالف مَنْ سبقه في أشياء ووافقهم في أشياء؛ فقال:" التوحيد الذي أنزل الله به كتبه ليس هو هذه الأمور وإنْ كان ما فيها داخلاً في التوحيد الذي جاء به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ، ورَدُّ ذلك وارِدٌ من طرق اللغة والعقل والشرع:

فأمّا في اللغة فإن أهلها مُطْبِقون على أن (الواحد) ليس هو الذي لا يتميز جانب منه عن جانب، وأن القرآن وسائر اللغات متطابقة على وصف كثير من المخلوقات بأنه واحد، وأن المخلوقات تقبل الانقسام، وتقبل أن تكون إما أجساماً أو أعراضاً[11] ودليل ذلك أن أهل اللغة العربية يجيزون جمع

---

(1) الراغب، **ألفاظ القرآن**، د.ط، 551، الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، ط4، 414.

(2) الجُرْجاني، **التعريفات**، ط2، 96.

(3) الزبيدي، **تاج العروس**، د.ط، 275/9.

(4) الراغب، **ألفاظ القرآن**، د.ط، 551، الجوهري، **الصِّحاح في اللغة**، ط1، 574/2.

(5) ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، ط2، 539/3، 571/4.

(6) جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، د.ط، 360/1وبعدها.

(7) الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، ط4، 414.

(8) الجُرْجاني، **التعريفات**، ط2، 96.

(9) البقاعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، د.ط، 280/3.

(10) المرجع السابق، 281/3.

(11) ابن تيمية، **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، ط1،

Arrasikhun International Journal, Volume 6, Issue 1, June 2020

ISSN: 2462-2508



لفظ (واحد) وتثنيته، ومنه قول بشامة بن حَزْن النَّهْشَلي:

قومٌ إذا الشر أبْدى ناجِذَيْه لهم طاروا إليه زُرافاتٍ ووِحْداناً[1]

وقول ابن الأعرابي (محمد بن زياد 231هـ):

فلما التقينا واحِدَيْن عَلَوْتُه بذي الكَفِّ إني للكُماة ضَروب[2]

وقول قُرَيْط بن أُنَيْف العَنْبَري التميمي الجاهلي:

فَضُم قَواصي الأعداء منهم فقد رجعوا كَحَيٍّ واحِدينا[3]

وأمّا في العقل فهذا الواحد الذي يصفونه أمر مقرور في الفطرة ويعرفه العقل فيثبت له ما يليق به من كمالات لكنه يعجز عن إدراك حقيقته لقوله سبحانه وتعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير} (الشورى: 11).

وأمّا في الشرع فمن المعلوم بالاضطرار أن اسم (الواحد) في كلام الله تعالى لم يُقْصَد به سَلْب الصفات عن الله، أو سَلْب إدراك آياته بالحواس، ونحو ذلك من المعاني المبْتَدَعَة[4]، ثم انتهى ابن تيمية إلى تعريف التوحيد بقوله: "التوحيد بقول لا إله إلا الله رأس الأمر"[5].

وهكذا انتهت أقوال أهل العلم في تناوُلهم للتوحيد، ولعل سر ذلك التنَوُّع في التناوُل راجع إلى أن التوحيد أمرٌ فِطْري وحقيقة قَبْلِيَّة وقضية كُلية هي في ذاتها غنيّة عن كل تعريفٍ كلامي كما لخص ذلك الفاروقي في بداية حديثه.

ب. الخَوض في مُتَشابه الوحي ومَضارّه على التوحيد:

نشأ الاختلاف في مُتَشابِه الوحي بسبب الخَوْض فيه مع فقدان شروطه الشرعية، ثم تَجَمَّعت دواعيه التي مَثَّلَها: البُعْد عن هَدْي عصور الرسالة والرُّشْد والاتِّباع، وهَجْمَة الدنيا بعد الفتوح، وانفعال العقل المسلم للفكر الوافد، وتنازُل المسلمين عن طريقة الوحي في عرض الإسلام على الآخر مما أوقع العقل المسلم في زاوية الدفاع التي صنعتها مُساجَلات أهل الكتاب وشُبُهات الصابئة وتَهَجُّمات الفلاسفة، ناهيك عن تَسَرُّبات الترف الفكري فأطَلَّت محاولات بلوغ حقيقة المراد من مُتَشابِه الوحي في الوقت الذي كانت آفة العُجْمة تغزو اللسان المسلم، وكانت عُرَى المصطلح الإسلامي تتزحزح عن مواقعها فانعجم الحرف في اللسان وانعجم المعنى في الأذهان.

ولقد تَمَهَّد ذلك في العقل المسلم حين جرى افتعال نوع جدال بين الوحي والعقل إثر أحداث الفتنة الكبرى 35هـ بين مُحْتَج بالنقل ومُؤَوِّل للنقل.

ثم لم يلبث أن أدى احتدام الصراع على الإمامة من جهة، والعلاقة بين الوحي والعقل من جهة أخرى إلى تفتيت الأمة في أربع فِرَق هي: الخوارج والشيعة والمعْتَزِلَة وأهل السُّنَّة، فكانت هذه هي كُبْرَيات الفِرَق الإسلامية وأوائلها، وشيئاً فشيئاً تعددت تلك الفرق وانقسمت، وأصيبت كل واحدة منها بعقدة "الفرقة الناجية" قبل أن تَرِث الأمة صراعاً من

478/1.

(1) العسكري، **كتاب الصناعتين الكتابة والشعر**، د.ط، 285/1، البغدادي، **خزانة الأدب**، د.ط، 413/7.

(2) الأندلسي، **المحكم والمحيط الأعظم**، د.ط، 488/3، ابن منظور، **لسان العرب**، د.ط، 446/3.

(3) ابن منظور، **لسان العرب**، د.ط، 446/3.

(4) ابن تيمية، **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، ط1، 488/1 وبعدها.

(5) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ط3، 23/1.



نوع آخر بين تيار من الانتماء وآخر من التفَلُّت أفرز شَتيتاً من التشَرْذُم في كل فرقة فانشعب الخوارج والشيعة والمعْتَزِلَة إلى تسع وستين فِرْقة، كل واحدة منها في ثلاث وعشرين فرقة، كما انشعب المرْجِئة إلى ثلاث فِرَق[1].

وأدَّى ذلك الخلاف إلى ثلاثة اهتزازات: فاهتز دور النقل أمام العقل، واهتز دور القَدَر أمام حرية الإرادة، واهتز دور الوسطية أمام الغُلُو.

وصنع كل ذلك شراً عريضاً وجُملاً من المآزق العَقَدِيَّة والفكرية التي لم تكن معروفة، ثم تُوُورِثَت على مدى الزمان وتَباعُد المكان فداخلتها أخلاط من الفكر والانتماء أسهمت طويلاً في تمزيق البناء العقلي والعَقَدِي للأمة، ودلت على أن كل اختلاف محمود، إلا اختلافاً في التوحيد.

وتَعَقَّب القرآن الكريم كل مَظان التأويل الباطني، ومَزالِق الشُّبُهات التي قد يتعرض لها العقل المسلم فتصيب تَلَقِّيه للوحي بالغَبَش جَرّاء تناوله لمُتَشابِهه دون أن يرده إلى مُحْكَمه.

وعَبَّر القرآن عن سلامة ذلك التناوُل بأخذه عن نوعٍ مقصود من أهل العلم عبَّر عنهم بقوله: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} وجمع كل ذلك في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ} (آل عمران: 7).

الأمر الذي يَشِي بأن الخوض في مُتَشابِه الوحي لابد أن يحمل من مَظان الفتن ما لا يقدر على فَرْزه إلا العالمون به، وأنَّ الوُلُوغ فيه يؤدي إلى إحياء الزَيْغ في كثير من القلوب فتضل عن الحق في تَناوُله، كما يدل على ابتغاء لَيِّ أعناق النصوص عند مَنْ يذهبون إلى تأويل الوحي على غير شروطه، وأن السبيل الأتم في فهم القرآن هو ردُّ مُتَشابِهه إلى مُحْكَمه، والتسليم له بتفويض ما لا تبلغ العقول مداه إلى الله.

الأمر الذي لم يلتزم به العقل المسلم فجرت خلافات بدأت بمواضع التشابُه وسُبُل تأويله ومدى بلوغ معناه والمراد بكُنْهه على الحقيقة، وانتهت بجملة إفرازات نفسية وفكرية وعَقَدِية أضرَّت بقدسية الوحي حين أطلقت العَنان للعقل فأحدثت جُملاً هائلة من التشقيقات في الوعي والسلوك على مستوى الفرد و الجماعة معاً منذ القديم وحتى اليوم[2].

ج – تنقية الإيمان:

قضى الله تعالى أن يكون الإسلام هو دينه الذي ارتضى، فأنزل له كتبه وأرسل به رسله ليُسْلِم الناس لرب العالمين على إخلاص القصد في القول والعمل فقال سبحانه وتعالى:

---

(1) البغدادي، **الفَرْق بين الفِرَق**، د.ط، 12وبعدها بتصرف.

(2) أبو الحسن الأشعري، **الإبانة عن أصول الديانة**، ط1، 238 وبعدها، عبد الجبار، **شرح الأصول الخمسة**، عبد الجبار، ط1، 266 و600، الغزالي، **تهافت الفلاسفة**، د.ط، 67، ابن رُشْد، **تهافت التهافت**، د.ط، 124، الغزالي، **الاقتصاد في الاعتقاد**، ط1، 16و112وبعدها، الرازي، **تفسير الفخر الرازي**، د.ط، 190/7وبعدها، القرطبي، **تفسير القرطبي**، د.ط، 16/4وبعدها، ابن تيمية، **درء تعارض العقل والنقل**، د.ط، 105/1، 234/2و281، الشاطبي، **المُوافَقات**، د.ط، 189/1 وبعدها، الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، ط9، 153 وبعدها، الغزالي، **مقدمة المنقذ من الضلال**، د.ط، 8-9، العقاد، **ابن رُشْد**، ط1، 77 وبعدها، دي بور، **تاريخ الفلسفة في الإسلام**، ط1، 339 وبعدها.



{وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا}(النساء: 125).

وذكَر أبا الأنبياء إبراهيم الخليل ومَنْ تَبِعَه فقال سبحانه وتعالى: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِين(131) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون (132)} (البقرة: 131-132) ؛ فكان الإسلام هو الاسم الجامع لكل رسالات الله إلى الناس.

فلما حادَ الناس عنه من طريق ضده، كان ذلك الضد هو الهوى المُنْشيء للكِبْر والشرك، ولهذا أُمِرْنا في كل ركعة بتلاوة: {اهدِنَــا الصِّرَاطَ المُستَقِيم(6)صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّين(7)} (الفاتحة: 6-7) وبيانه أن آفة الهوى جاءت من طريق اليهود المغضوب عليهم، وطريق النصارى الضالين؛ فأمّا اليهود فقد غلبهم الكِبْر مع شِرْكهم، وأمّا النصارى فقد غلبهم الشِّرْك مع كِبْرهـم، فألْزَم الله اليهود بالشريعــة على لسان موسى – صلى الله عليه وسلم- حتى لا يستقـل امْرُؤٌ بنفسه عن مُرادات ربه أبداً فقال سبحانه: {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِين}(الأعراف: 145).

فلما غلبهم هوى الكِبْر ذَكَّرهم بنعمة الهداية وخاطبهم مُنْكِراً فقال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُون}(البقرة: 87).

ثم أنهى الخطاب ببيان جزاء مَنْ حاد بكِبْره عن أمر ربه لأن الكِبْر مُبايِن للإيمان ومُوجِب لجَحْده، فقال تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِين}(الأعراف: 146).

ولأن الجزاء من جنس العمل فقد أوجب الكِبْرُ جريان الذل فيهم على نقيض ما قصدوا فقال سبحانه عنهم: {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ}(البقرة: 61)؛ فبان أن أصول الضلال إنما ترجع إلى الهوى لقوله تعالى: {فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى(41) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا(42)} (النازعات: 41-42).

ومع ذلك لم يُؤْيِسْهم سبحانه من رحمته فناداهم: {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم} (المائدة: 66)، ولدخلوا فيمن رضي عنهم عند قوله تعالى: {وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُون}(الأعراف: 154)؛ فالذين يرهبون خلاف الذين يتبعون أهواءهم.

وأمّا النصارى فهم موصوفون بالشرك الذي ابتدعوه كما وُصِف اليهود بالكِبْر الذي هووه؛ قال تعالى: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُون}(التوبة: 31)، فلما كان أصل بِدَعهم الإشراك بتعديد الطرق إلى الله فقد أضلهم عنه سبحانه بجنس ما قصدوا وابتدعوا.

فبان أن الهوى سبيل للبِدَع وهي شُعَب من الكفر وسُبُل إليه، وأن الاتّباع بإخلاص وصواب سبيل للطاعات وهي



شُعَب من الإيمان وسُبُل إليه، وأن أحسن الحسنات هو التوحيد وما ينبني عليه، وأن أسوأ السيئات هو الشرك وما ينبني عليه، وأنه ليس من سبيل لتنقية الإيمان من كل شائبة إلا بمجانبة الهوى ومداومة الحذر مما يدل عليه ويسوق إليه فقد أراد الله الناس أمةً واحدةً فلم يفرقها إلا الهوى الذي هو أُس الشقاق لأنه عن الخير صاد وللعقل مضاد؛ فالعقل صديق مقطوع، والهوى عدو متبوع، ومَطِيَّة لكل فتنة لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها، ومن الأفعال فضائحها فيجعل سِتْر المرء مهتوكًا، ومدخل الشر مَسْلوكًا؛ ولذلك كان مَنْ أطاع هواه منح عدوه مُناه، وكان أفضل الناس مَنْ عصى هواه، وكان أشجع الناس مَنْ جاهد هواه طاعة لله تعالى[1].

ومن هنا ذم القرآن اتِّباع الهوى من كل طريق فأثبت النهي عنه، وقَرَنه بالضلال، وتَوَعَّد أهله بأشد العذاب فقال سبحانه: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}[2].

وتتابع النهي عن الهوى فاقترن بالغفلة، وحب الدنيا، والإفراط والتفريط والظلم وسوء الخاتمة وحصول العذاب، فقال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28) وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا(29)} (الكهف: 28-29).

وإنما يرجع السر في ذلك إلى أن اتِّباع الهوى يؤدي إلى أعظم آفة؛ وهي استقلال الإنسان بنفسه أو غيره عن مُرادات ربه؛ ولذا جاء التحذير الإلهي في قوله تعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ(166) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ(167)} (البقرة: 166-167)، ليدل على أن تمام العبودية مرهون بالتحذير من استقلال الإنسان بنفسه عن مُرادات ربه, وموصول بالنهي قبله عن اتِّباع الهوى سواءً بسواء؛ ولذلك عَدَّ رسول الله ρ جهاد النفس أَخَصَّ الجهاد فقال" المجاهد مَنْ جاهد نفسه لله عز وجل"[3] وقال علي بن أبي طالبτ: "إياكم وتحكيم الشهوات فإن عاجلها ذَميم وآجلها وَخيم". وقال عبد الله بن عباس: "ما ذكر الله الهوى إلا ذَمَّه؛ لأن الهوى إله يُعْبَد من دون الله، ثم تلا قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُون}(الجاثية: 23)[4].

---

(1) الغزالي، **الإحياء**، د.ط، 13/1، 79/2، وبعدها بتصرف، ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ط3، 623/7 وبعدها بتصرف.

(2) (ص: 26)، وانظر: الطبري، **تفسير الطبري**، د.ط، 151/22، ابن الجوزي، **تفسير ابن الجَوْزي**، ط4، 12/7، ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، ط2، 36/4، القرطبي، **تفسير القرطبي**، د.ط، 178/15وبعدها، 167/16وبعدها.

(3) ابن حبان، **صحيح ابن حِبّان**، ط2، 23/ 4624.

(4)، وانظر: الراغب، **الذريعة**، ط1، 104وبعدها، الماوَرْدي، **أدب الدنيا والدين**، ط1، 17وبعدها، الشاطبي، **الموافقات**، د.ط، 170/2 وبعدها.



وأمّا التابعون فقال الحسن البصري110هـ:"أفضل الجهاد جهادك هواك"[1]، وقال عامر بن شُراحيل الشَّعْبي 104هـ: "إنما سُمِي الهوى لأنه يهوي بأهله". وقال ميمون بن مِهْران 117هـ: "إياكم وكل هوى يُسَمَّى بغير اسمه". وقال محمد بن صُبح السَّمَّاك 183هـ : "كن لهواك مُسَوِّفاً ولعقلك مُسْعِفاً، وانظر ما تسوء عاقبته فوَطِّن نفسك على مُجانَبَته فإنَّ ترك النفس وما تهوى داؤها، وترك ما تهوى دواؤها، فاصبر على الدواء كما تخاف من الداء" [2].

وقال عبد الله بن المبارك 181هـ: "الجهاد مجاهدة النفس والهوى"[3].

وقال الجُنَيْد بن محمد 297هـ "الذين جاهدوا أهواءهم في الله سيهديهم سُبُله"[4].

ومما سبق يتبين لنا أن الفاروقي يؤكد على أن الإيمان قائم على معرفة الخبر الذي هو مؤسس عليه وتمحيصه، وأنه المبدأ الأول للنقد، وأساس التفسير العقلاني للوجود، ويرى أن الظن الغير مبني على بينة وتثبت، هو مجرد ظن يأمرنا الله تعالى باجتنابه.

المبحث الثالث: رؤية الفاروقي لتأثير التوحيد على الفكر والحياة

ذهب المؤلف إلى أن التوحيد الإسلامي هو جوهر الحضارة الإسلامية، وأن هذا الجوهر مبني على العبادة، فقسم هذا المبحث إلى عناصر بدأها بقوله: "أهمية التوحيد هي أن الإسلام هو جوهر الحضارة الإسلامية وأن جوهر الإسلام هو التوحيد، وهذا الجوهر قابل للوصف والتحليل، فالحضارة الإسلامية تستمد هويتها من التوحيد، قال سبحانه: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ}(الإسراء: 23)، وقال تعالى: {وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا}(النساء: 36) وتبين هذه الآيات أن الغاية من خلق الإنسان هي أن يُعبد الله وحده، قال سبحانه: {حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ}(الحج :31).

وخلاصة ما سبق، أنه لا إسلام إلا بالتوحيد، قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُون} (الأنعام :82)، وفي صحيحي البخاري ومسلم، عن عبادة بن الصامت، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وأن النار والجنة حق، أدخله الله بها الجنة".

وأيضاً عن عتبان بن مالك أن النبي قال: "إن الله حرّم على النار كل من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله"[5] .

والواقع أن حضارة الإسلام في مفهومها الجامع لا تختلف عما أوجزه المؤلف، لكن أمانة البحث تقتضي تفصيل هذه المسألة تفصيلاً غير ممل، وذلك على النحو التالي:

أن الحضارة شُغل إنساني عريض قد تنوعت فيه جهود مفكري الشرق والغرب بين متقدم ومتأخر، فتناولوا مفهومها بين الموضوعية والذاتية، والكلية والجزئية، والسلبية

---

(1) ابن القَيِّم، **روضة المحبين**، د.ط، 478/1.

(2) الراغب، **الذريعة**، ط1، 104وبعدها، الماوَرْدي، **أدب الدنيا والدين**، ط1، 17وبعدها، الشاطبي، **الموافقات**، د.ط، 170/2 وبعدها.

(3) محمد بن عبد الوهاب، **مختصر زاد المعاد**، ط2، 114.

(4) ابن القَيِّم، **الفوائد**، ط2، 59/1.

(5) الفاروقي، **التوحيد مضامينه على الفكر والحياة**، ط1، 57.



والإيجابية.

واعتبر مالك بن نبي أن الحضارات مواريث عمرانية، وأن صناعة التاريخ أمانة شرعية، وأن حضارة الوحي هي وحدها التي تجعل للتاريخ قيمة، وأن ثلاثية الحضارة تكمن في: اجتماع نوع الأفكار، وهِمَّة الإنسان، وقِيَم الأشياء على صناعة الصواب، وأنه حين تصح الأفكار فسوف تصح الهمم والأشياء(1).

وأن إعادة انبعاث حضارة الوحي يحتاج إلى ذات المناخ العَقَدي الفكري الذي أجاد صنعها أول مرة، والذي به يصبح للأفكار معنى، ويتحدد للإنسان دور، وتصير للأشياء قيمة.

ولأن صناعة الحضارة رهنٌ بصناعة الإنسان فقد دلَّ الوحي على صُنّاع الحضارة فقال تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ} (الفتح: 29) لأن حضارة الوحي إنما تُعْنَى بعمارة النفوس بالله مع عمارة الحياة بالإنسان تماماً بتمام.

وكما دلّنا الوحي على أوصاف صُنّاع الحضارة فقد دلّنا على هُدّام الحضارة فقال سبحانه وتعالى: {وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ}(محمد: 30).

فصارت الحضارة الكاملة متلازمة سَّوِيَّة من صحة التفاعل بين ثلاثية: الفكر والإنسان والأشياء عبر الزمان والمكان.

ولما كان الإنسان هو العنصر الفاعل في الزمان والمكان معاً، فإن الدين هو العنصر الفاعل في الإنسان، ولذلك فإن حضارة الإسلام تمر بثلاث مراحل هي:

1) مرحلة الروح التي توقظها العقيدة فتنشط الفطرة، ويستقيم الإنسان فيبدأ التغيير فيه قبل أن يطول الحياة من حوله امتثالاً لقوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوص}(الصف: 4).

2) مرحلة الهوى التي توقظها النفس فتتحرك الغرائز، وتتراجع الأفكار وتنشط الشهوات فيميل الإنسان تصديقاً لقوله تعالى: {وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيم}(يوسف: 53).

3) مرحلة التفكُّك التي توقظها الشهوة فينفلت الهوى، وتتعاند المنافع والمبادئ، وتتحكم الأشياء في قيم الأفكار فيقع الانهيار إذعاناً لقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَاب}(النور: 39).

فإذا بلغت الأمة مرحلة التفكك فليس من سبيل إلا بإيقاظ الفطرة، وعمارة الروح، وإعادة تربية الناس من طريق صناعة العقل ليجدد منظومة الأفكار التي تعيد صياغة الأشياء وَفْق منهاج الوحي وهو ما صنعته روح {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَق (1) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَق (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَم (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَم (4) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم(5) } (العلق: 1-5)، حين أشرق نورها فبعث إنساناً جديداً أعاد إلى الأفكار دورها، وإلى الأشياء قِيَمَها، وإلى الحياة روحها(2).

وخلاصة القول فقد أوضح الفاروقي أن الحضارة لا تدوم

---

(1) مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، د.ط، 23 بتصرف.

(2) مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ط3، 52، 68، 70، وبعدها بتصرف.



إلا بتوفُّر الصفوة القادرة على الرِّيادة، والجماعية القادرة على التكتل والمواجهة لأنه كلما كانت الحضارة أقوى في ميادين التحدي صمدت طويلاً.

وأن الحضارة لن تكون سَويَّة إلا حين تظل منظومة منسجمة من انسجام الفطرة مع السلوك، والفكرة مع الإنجاز، والدعوة مع العمل.

وأن التوحيد الإسلامي هو جوهر الحضارة الإسلامية، وأن هذا الجوهر مبني على العبادة.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين أما بعد،،،

فقد عشت مع الفاروقي "رحمه الله" في كتابه: "التوحيد مضامينه على الفكر والحياة"، أقلب معاني كلامه، وأضم بعضه إلى بعض محاولاً التماس فكره ومنهجه وأسلوبه وطريقة دراسته للتوحيد، وأثر تلك الدراسة على الفكر والحياة.

وقد انتهى بي هذا البحث إلى الكشف عن العديد من الجوانب المغمورة في شخصية الفاروقي، وأذكر هنا أهم النتائج التي توصلت إليها:

أهم النتائج:

1. أوضح البحث أننا أمام شخصية علمية متميزة تمثل شخصية العالم المتكامل المعارف، ذي قدم راسخة في علوم شتى، تمثل ثقافات مجتمعة، وقد استطاع أن يوفق بين إنتاج فكري ونضال عملي.

2. لم يقف الفاروقي عند حدود التأمل النظري فحسب، بل كان مدافعاً ومناضلاً عن آرائه وأفكاره، لتكون موضع التطبيق.

3. المعروف عن الفاروقي بأنه مفكر إسلامي، ولم يُعرف كعالم في مجال العقيدة، ولكن سعة اطلاعه وتضلعه في الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية ومخالطته لأهل الأديان الأخرى، جعلته ذا رؤية علمية جديدة، تخاطب وتجادل بالحسنى، وكان هذا سبب تميزه في دراسته للتوحيد.

4. بيّن الفاروقي أن الحضارة في الإسلام لا تعتمد على الجانب المادي فقط، بل لابد من الجانب الآخر وهو جانب الأخلاق، وأن التوحيد هو جوهر الحضارة الإسلامية، وأن هذا الجوهر مبني على العبادة.

5. أظهر البحث احترام الفاروقي للسماع لاسيما المصدر الأول منه، فقد احتل الشاهد القرآني أعلى المراتب عنده.

6. تابع الفاروقي في كتاباته الاستشهاد بالحديث الشريف، للاستدلال به على صحة منهجه.

ومما ذُكِر يتبين لنا أن إسماعيل الفاروقي شخصية فكرية متميزة، وذلك من خلال ما أوضحه في منهجه لدراسته للتوحيد.

رحم الله الشهيد إسماعيل الفاروقي رحمة واسعة، وجعل ما قدمه للإسلام والمسلمين في ميزان حسناته، وأسكنه فسيح جناته.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،،،



قائمة المصادر والمراجع

1. الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن أبي بِشر، **الإبانة عن أصول الديانة**، ط1، القاهرة، دار الأنصار، 1397هـ.

2. البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي، **الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية منهم**، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

3. البغدادي، عبد القادر بن عمر، **خزانة الأدب ولُب لسان العرب**، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998م.

4. البِقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، د.ط، الرياض، مكتبة المعارف، 1408هـ.

5. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحَرّاني، **دَرْء تعارض العقل والنقل**، د.ط، الرياض، دار الكنوز الأدبية، 1391هـ.

6. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني، **بيان تلبيس الجَهْمِيَّة في تأسيس بِدَعِهم الكلامية**، ط1، مكة، مطبعة الحكومة، 1392هـ.

7. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحَرّاني، **مجموع الفتاوى**، ط3، المنصورة، دار الوفاء، 1426هـ .

8. الجُرْجاني، علي بن محمد بن علي، **التعريفات**، ط2، بيروت، دار الكتاب العربي، 1413هـ.

9. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القُرَشي البغدادي الحنبلي، **زاد المَسير في علم التفسير**، ط4، بيروت، المكتب الإسلامي، 1407هـ.

10. ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُسْتِي، **صحيح ابن حِبّان**، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1414هـ.

11. دي بور، ت.ج، **تاريخ الفلسفة في الإسلام**، ط1، مصر، د.ن، 1954م.

12. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفَضَّل، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، ط1، القاهرة، دار الصحوة، 1985م.

13. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفَضَّل، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، د.ط، بيروت، دار الفكر، د.ت.

14. ابن رشد، أبو الوليد بن رُشْد الحفيد، **تهافت التهافت**، د.ط، القاهرة، د.ن، 1903م.

15. ابن سِيدَه، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرْسِي الأَنْدَلُسي، **المُحْكَم والمحيط الأعظم**، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، 2000م.

16. الشاطِبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي المالكي، **المُوافَقات في أصول الشريعة**، د.ط، مصر، دار الفكر العربي، د.ت.

17. صليبا، د. جميل، **المعجم الفلسفي**، د.ط، بيروت، الشركة العالمية للكتاب، 1414هـ .

18. عبدالوهاب، محمد بن عبد الوهاب بن داود، **مختصر زاد المعاد**، ط2، الرياض، د.ن، 1423هـ.



19. ابن أبي العز، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزْدي الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، ط9، بيروت، المكتب الإسلامي، 1408هـ.

20. العقّاد، عباس محمود، **ابن رُشْد**، ط1، مصر، د.ن، د.ت.

21. غُرْبال، محمد شفيق، **الموسوعة العربية الـمُيَسّرة**، د.ط، د.م، دار الجيل والجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، 1416هـ.

22. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، د.ط، بيروت، دار المعرفة، 2010هـ.

23. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، **الاقتصاد في الاعتقاد**، ط1، القاهرة، مكتبة الجُنْدي، 1972م.

24. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، **تهافت الفلاسفة**، د.ط، القاهرة، د.ن، 1903م.

25. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **مقدمة الـمنقذ من الضلال**، د.ط، دمشق، د.ن، 1934م.

26. الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن أحمد بن حمّاد الجوهري، **الصِّحاح في اللغة**، ط1، مصر، د.ن، د.ت.

27. الفاروقي، إسماعيل راجي، **التوحيد مضامينه على الفكر والحياة**، ط1، د.م، د.ن،1431هـ.

28. الفَخْر الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الشافعي، **التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)**، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، 1421هـ.

29. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد، **القاموس المحيط**، ط4، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1415هـ.

30. القاضي، أبو الحسين عبد الجبار بن أحمد، ابن عبد الجبار الهَمَذاني، **شرح الأصول الخمسة**، ط1، مصر، مكتبة وهبة، 1384هـ.

31. القُرْطُبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، د.ط، القاهرة، دار الشعب، د.ت.

32. ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، **روضة الـمحبين ونزهة الـمشتاقين**، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، 1412هـ.

33. ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، **الفوائد**، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1393هـ.

34. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، بيروت، دار المعرفة، 1407هـ.

35. الماوَرْدي، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي، **أدب الدنيا والدين**، ط1، د.م، دار الكتب العلمية، 1987م.

36. المرتضَى الزَّبِيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني المصري، **تاج العروس من جواهر القاموس**، د.ط، مصر، دار الهداية، د.ت.

37. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري المصري، **لسان العرب**، د.ط، بيروت، دار صادر، 1956م .

38. نبي، مالك بن عمر بن الخضر بن مصطفى، **شروط النهضة**، ط1، بيروت، دار الفكر، 1960م.

ISSN: 2462-2508



39. نبي، مالك بن عمر بن الخضر بن مصطفى، **ميلاد مجتمع**، د.ط، دمشق، دار الفكر، 1962م.

40. أبو هلال العسكري، الحسن ابن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى ابن مهران، **كتاب الصناعتين الكتابة والشعر (النَّظْم والنثر)** د.ط، بيروت، المكتبة العصرية، 1406هـ.